الفصل الثالث

السكان

التركيبة السكانية

الحمائل

المختار

المجلس المحلي

المقعد

التركيبة السكانية

كان سكان اسدود كغيرهم من سكان فلسطين، نتاجا للأقوام التي توطنت في البلاد قرونا عدة، فأصبح هؤلاء خليطا متناسقا ومنسجما على مر العصور. إنه من الصعوبة بمكان وضع تحديد دقيق لأصول هذه العائلة أو تلك، لكن الناس تعارفوا فيما بينهم على أنساب وانتماءات قبلية وعرقية محددة، وربما تعود أحيانا إلى عشرة جدود أو أكثر قليلا.

إن دراسة تاريخ فلسطين خلال الثلاثة آلاف سنة الأخيرة مثلا يجعلنا أكثر اعتقادا بأن الصبغة العربية هي الأعم والأشمل لسكانها في القرن العشرين. نعرف أن القبائل العربية التي شاركت في الفتح الإسلامي، والقبائل العربية التي استوطنت بلاد الشام قبل ظهور الدعوة الإسلامية، علاوة على القبائل العربية التي هبت وانخرطت في الجيوش الإسلامية للدفاع عن فلسطين وسوريا لصد الغزو المغولي، وتحريرها من الاستعمار الأوروبي في فترة الحروب الصليبية. كل هذه العوامل تركت، بدون أدنى شك، أثارها الواضحة على البلاد، ودمغتها بالصبغة العربية. وهذا ما جعل كثيرا من المؤرخين يعتقدون بأن نسبة الأصول العربية لسكان فلسطين مرتفعة جدا، وهذا أيضا يفسر حرص كثير من العائلات في المدن والقرى على أن تعود بأنسابها إلى قبائل عربية أو قادة الفتح الإسلامي، أوالصحابة الذين وفدوا إلى فلسطين، مع جيوش الفتح الإسلامي، أو إلى جزيرة العرب بوجه عام.

هذا التحليل والوصف ينسحب بشكل عام على اسدود وغيرها من قرى فلسطين ومدنها. إلى جانب ذلك تميزت القرى والمدن في السهل الساحل الفلسطيني بوجود نسبة كبيرة من سكانها ذوي أصول مصرية. وهناك شبه إجماع بين المؤرخين على أنهم وفدوا إلى البلاد خلال القرن 19 سواء على آثر حملة إبراهيم باشا إلى بلاد الشام (1832-1840)، ونتيجة لعدم وجود حدود أو قيود على حركة التنقل بين الأقاليم العربية طيلة العهود الإسلامية. هذه الظروف شجعت الناس على التنقل والإرتحال بحثا عن موطن أفضل اقتصاديا وسياسيا واجتماعيا، فاختلط المصري والحجازي والشامي والمغربي فكانت الحصيلة مجتمعا عربيا كما نعرفه اليوم.

إن أطماع دول أوروبا الاستعمارية في ولايات الدولة العثمانية، دفعتها للوقوف صفا واحدا أمام مشروعات محمد علي التوسعية خدمة لمصالحها وليس حرصا على مصلحة السلطان العثماني فانسحبت القوات المصرية بسرعة من بلاد الشام وتخلفت أعداد كبيرة من الجيش ومن المدنيين المرافقين له. فاستقر هؤلاء في قرى ومدن السهل الساحلي. هناك أحياء كاملة في مدينة يافا تعرف بالسكنات، وتدل أسماؤها على أن سكانها مصريون مثل: سكنة أبو كبير، سكنة درويش، سكنة العراينة، وكانت هذه السكنات على أطراف يافا بين البيارات ثم اتسعت فأصبحت جزءا لا يتجزأ من المدينة. ومما يدعم هذا الرأي أن بعض العائلات المصرية في اسدود، وغيرها من القرى هاجرت إلى مصر بعد النكبة عام 1948، وأقامت في القرى والمراكز المصرية التي جاء أجدادهم منها، وفعلا قوبلوا بكرم وترحاب واستردوا الجنسية المصرية. ويجب التنويه هنا بأن تلك التسمية لا تنقص من عروبتهم وفلسطينيتهم مقدار ذرة، وإنما القصد من وراء ذلك توضيح أسباب تسمية حارة المصريين، وللتأكيد على عروبتهم، لأن البعض يعتقد بأنهم يعودون إلى العهد الفرعوني وهذا أمر ليس منطقيا ولا يمكن إثباته تاريخيا.

كان سكان اسدود تركيبة متجانسة، وعاشوا في انسجام ووئام. وكانوا خليطا من الفلاحين والمصريين، ولكن هذا لا يعني أن المصريين لم يفلحوا الأرض، بل كان من أكبر الملاكين في اسدود، علي أبو زينة، من المصريين، وأصبح مختار المناعمة في الثلاثينات من القرن الماضي. كما كانت هناك عائلات عديدة منهم تحرث الأرض وتزرعها مثل: أبو محيسن، أبو شبيكة، أبو قورة، أبو غزة، عبد العال، وعائلات أخرى لها كروم عنب وبيارات برتقال. وبنفس المنطق كانت هناك عائلات أو أفرادا من الفلاحين لا يملكون أرضا ولا يعملون بالفلاحة. لذلك اعتقد أن هذا التقسيم أو التسمية لا تقوم على أساس متين أمام تحليل علمي صحيح.

قررت الدولة العثمانية إلغاء منصب شيخ البلد، واستبداله بنظام "المختار" كما ورد في قانون الولايات العثماني الصادر عام 1864م. ولكن القانون لم يطبق بسرعة نظرا للغموض الذي اكتنف بعض نصوصه حول هذا المنصب الجديد. نص القانون أن يكون مختار واحد لكل قرية، ثم أضاف إذا كان في القرية أكثر من حمولة فلها مختاران. ويظهر أن أعيان اسدود قد اتفقوا فيما بينهم، وحيث أن هناك أربع عائلات كبيرة، أن يكون هناك أيضاً أربعة مخاتير، لكل عائلة (حمولة) مختار.

ولما لم يكن هناك عائلة كبيرة تتزعم المصريين ، نظراً لأنه لا تربطهم صلة الدم كما هو الحال في العائلات الأربعة الأخرى، جرى توزيعهم على الحمايل الأربعة، ربما لأن القانون لم يسمح بتعيين مختار خاص بهم. وهناك قول بتداوله الناس بأن أعيان الحمايل الأربعة خافوا على نفوذهم من تأثير أعداد المصريين الكبيرة فيما لو تشكلت حمولة خاصة بهم. فقرر الأعيان توزيع العائلات المصرية على الحمايل الأربعة. ولم يكتفوا بذلك فوزعوا العائلة الواحدة بين حمولتين، فمثلا نرى عائلة طومان موزعة بين الجودة وزقوت، وعائلة المزين بين الدعالسة وزقوت، وأخرى بين الدعالسة والمناعمة، وهكذا.

وكما يظهر، نظرا لانتعاش الأحوال الاقتصادية في اسدود، وحسن معشر أهلها وكرم ضيافتهم، جذبت وشجعت عددا كبيرا من العائلات سواء من قرى مجاورة أو بعيدة للهجرة والإقامة في اسدود. وعاشت في وئام مع السكان وأقامت علاقات مصاهرة، وامتلكت الأرض، ووجدت كل ترحاب وقبول، وأصبح انتماؤها كاملا لاسدود.

**ومن هذه العائلات الوافدة:**

1. **إبراهيم العرقوبي:** جاء في أواخر العهد العثماني من حمامة (حمولة المناعمة) وتزوج من عائلة نوفل، وأنجب أربعة أولاد وبنت. أما الأولاد فهم: مصطفى الملقّب بالسعدي، عبد الحليم، عمر، وعبد المطلب، والبنت هي سكينة، تزوجها حسين صالح جودة مختار الجودة. وعبد الحليم درس في الجامع الأزهر وكان ينوب أحيانا عن الشيخ محمود نجم في إمامة الجامع الكبير، وتزوج من عائلة البيومي من الجودة وأقام بينهم.
2. **أحمد ذياب:** جاء إلى اسدود من قرية أبو ديس قضاء القدس، اضطر للرحيل نتيجة لنزاع عائلي وثأر في أواخر العهد العثماني. وتزوج من عائلة النجار من الجودة لكنه كان تابعا لحمولة زقوت (الزكاكتة)، وأنجب شحدة، وعبد الحميد، وذيب.
3. **عيد الحاوي:** أصله من غزة أقام في اسدود وتوفي فيها وتزوجت أرملته من علي حسين عيسى جودة وكان معها ولدان هما كامل وسالم، وبنت تزوجت محمد عيسى جودة، وأخوها كامل تزوج أيضا من الجودة ابنة إبراهيم الحاج أما سالم فتزوج مصرية.
4. **الحاج محمد اليبرودي:** جاء إلى اسدود من يبرود قضاء رام الله وسكن في حارة الجودة وكان يعمل في تصليح السلاح وبابور البريموس والفوانيس وغير ذلك.
5. **عبد ربه الحفناوي ومحمد الحفناوي:** سكنوا حارة الجودة وتصاهروا معهم.
6. إبراهيم مسعود: ربما يكون أصله من السودان، أقام في حارة المناعمة. كان له ولدان فارس وعطا الله.
7. **محمود الجوراني:** من قرية الجورة أقام في حارة الجودة وتزوج خديجة عبد الغني وكذلك ابنه محمد تزوج عايشة بنت عطية الشيخ البيومي. وهم من عائلة تنيرة بالجورة.

الحمائل

معظم العائلات الرئيسة في اسدود وفدت إليها من الخارج وغالبا من مناطق الخليل ونابلس والرملة في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر حيث أن السهل الساحلي أصبح منطقة جذب للسكان لخصوبة التربة ولازدحام المناطق الجبلية بالسكان مع مواردها المحدودة. وكلما زادت أعداد السكان في القرى كلما كانوا أقدر على الدفاع عن أنفسهم من هجمات البدو الذين كانوا ينهبون محاصيل الفلاحين في القرى الصغرى خاصة في فترة ضعف الدولة العثمانية لأنها عجزت عن توفير الحماية اللازمة لسكان تلك القرى.

كانت البنية السكانية في جميع قرى فلسطين متشابهة. كان سكان القرية ينقسمون إلى عدة حمائل (مفردها حمولة)، وكانت الحمولة أهم وحدة اجتماعية في حياة القرية الفلسطينية. فهم متكاتفون ومتضامنون في سرائهم وضرائهم، وبينهم تكافل اجتماعي. والحمولة تتألف عادة من عدة عائلات تجمعها المصالح المشتركة، أو من عائلة واحدة تربطها علاقة الدم، أي ينتسبون إلى جد واحد.

وفي اسدود كانت حمولة الجودة تمثل هذا النوع الاخير. أما الحمائل الأخرى فكانت تتألف من عائلة رئيسة قوية، ومعها عدد من العائلات الأخرى. وعادة ما يكون المختار من العائلة الأكبر. وكان سكان اسدود يشكلون أربع حمائل وهم: الجودة، الدعالسة، الزكاكتة (زقوت)، والمناعمة. وكانت كل حمولة بيوتها متقاربة في جهة معينة من القرية. فالجودة مثلا كانوا يقيمون في الجهة الشمالية والشمالية الشرقية من القرية أما الدعالسة فكانت معظم بيوتهم في الناحية الشرقية وفي جنوب الشارع الأوسط. بينما الزكاكتة يسكنون في الناحيتين الغربية والشمالية الغربية وكانت حمولة المناعمة في معظمها تتوسط القرية وبعض الأجزاء الشرقية على جانبي الشارع الأوسط.

وحيث أن القرية بها أقسام أربعة، لذلك كل "حمولة" كانت تدعي أيضا "الربع" لأنها بالفعل ربع القرية فكان يقال "ربع" المناعمة أو "ربع" الدعالسة وهكذا.

**وفيما يلي نبذة مختصرة عن الحمائل ألأربعة في القرية:**

**أولا: آل جودة (الجَوَدِه)**

تنسب هذه الحمولة إلى مؤسسها وجدها الأول جودة. ويروي الأجداد أن أصل هذه العائلة من الحجاز وكغيرها من سكان جزيرة العرب رحلوا شمالا بحثا عن ظروف معيشيه أفضل. والبعض يدعي بأن الرحيل كان نتيجة نزاعات عائلية وثأر. وكانوا ثلاثة أخوة وبعض الأقارب وعائلتهم تدعي "الهاروني".

وكانت أول محطة لهم في عين شمس بمنطقة الخليل، وبعد عدة سنوات اضطروا للرحيل مرة ثانية على إثر نزاع عائلي آخر مع عائلة ذات نفوذ قوي (عائلة اللحام). أحد الأقارب اتجه إلى الظاهرية وأقام بها واحتفظت العائلة باسم "الهوارين" نسبة إلى الجد الأكبر هرون. أما الأخوة الثلاث: علي، وعبد ربه، وجودة وابن اخيهم حمادة توجهوا شمالا، فاستقر علي في المزرعة القبلية (قضاء رام الله)، وعبد ربه انتهى به الترحال إلى قلعة المرقب (قضاء اللاذقية)، وجودة توجه غربا ومعه ابن أخيه حتى حطت رحالهم في اسدود. وكان ذلك في منتصف القرن الثامن عشر الميلادي تقريبا.

وتفيد الرواية بأن جودة قوبل بترحاب من أهل البلدة مما شجعه على الإقامة بها. وكان حافظا للقرآن فسكن قريبا من المسجد الذي عرف فيما بعد بمسجد الجودة. ويروى بأنه مسجد قديم يعود تاريخ بنائه إلى القرن الأول الهجري. ثم تزوج وأنجب ولدين: محمد وعبد الجواد.

وحين تزوج محمد أقام في بيت بجوار أبيه قريبا من المسجد، ولما تزوج عبد الجواد بنى له أبوه بيتا في منحدر من الأرض ليس بعيدا عن بيت العائلة.

ولما أخذت العائلة تنمو ويزداد عدد أفرادها بعد أن أنجب محمد خمسة أولاد، وأنجب عبد الجواد سبعة، وأخذوا يتنقلون بين البيوت فتعارفوا على تسميتها بالدار "الفوقا" والدار " التحتا". ومن هنا انتشرت تسمية أولاد محمد "بالفواقا " وأولاد عبد الجواد "بالتحاتا".

1. **أبناء محمد خمسة وهم:**

* أحمد ، وقد خلف: إبراهيم وهذا خلّف شحادة، صالح، أحمد ، عبد المعطي، عبد الفتاح
* عبد الرحمن ، وقد خلّف: محمد (البيومي) ويوسف، والحنفي.
* محمد ، وقد خلّف: محمد، أحمد، جودة.
* عبد الهادي ، وقد خلّف: أحمد، وعبد الله، محمد (عائلتي النجار وعبد الغني)
* عبد الرحيم ، وقد خلف: محمد وعبد القادر ، وقد رحل هذا الأخير إلى منطقة بئر السبع ، حيث تزوج وأقام هناك وخلف ستة أولاد وهم: سليمان ومحمد وأحمد وإبراهيم وحسن وسالم ، وعرفوا ب "القوادرة".

1. **أبناء عبد الجواد سبعة وهم:**

* عبد الباسط ، وقد خلّف عبد الكريم وهذا خلف عبد الباسط ومحمد.
* عبد الدايم لم يخلّف أحدا.
* عبد ربه ، وقد خلّف أحمد وعبد القادر (دار الشبلي) وعبد القوي وعبد العظيم
* عبد العزيز، وقد خلّف أحمد ومحمد (دار درويش ودنه)
* عيسى ، وقد خلّف: أحمد، محمد، إبراهيم، عبد الجواد، مصطفى
* موسى ، وقد خلّف سليمان وعبد الله (جودة، الموسوس، موسى)
* هارون ، وقد خلّف أحمد، محمد، عبد الرحمن، اسماعيل

**أما حمادة قريب جودة** والذي رافقه في رحلته إلى اسدود واستقر معه فيها، فقد كان له خمسة أولاد وهم:

1. علي ، وينسب إليه المقرئ الشيخ محمود وأخوته محمد ويونس.
2. أحمد ، وينسب إليه إبراهيم الحاج وأخوته حسن وعلي.
3. عبد الله ، وينسب إليه علي سلمان، وسرحان، ومحمود قراقر.
4. حسين ، وينسب إليه محمد الددح وأخوه حسن.
5. عبد ربه ، لم يخلف أحدا.

**ومن أهم العائلات التي تنتمي إلى حمولة الجودة** ، دار الحاج يوسف (أحمد ، ومحمد ، وعبد الله ، موسى ، عبد ربه)

دار طومان (محمد طومان) ، دار الكرد (الحاج عيسى خرفان وأخوه جمعه)

أبو شعيب، غراب ، ذياب ، علي السدودي ، الزلبان ، سابق ، الحفناوي، الحاوي.

**ثانيا: حمولة الدعالسه:**

تنتسب هذه الحمولة إلى العائلة الرئيسة فيها وهي الدعليس. ويعتبر نبهان الدعليس هو جدهم الأول ، وكان من أعيان القرية في العهد العثماني.

**ومن أهم عائلاتها:**

1. آل حميد الدعليس ومن أعيان هذه العائلة في أواخر العهد العثماني وعهد الانتداب: عبد الحميد حميد وأولاده محمد وعبد الهادي وعبد الحافظ، ولهم أقارب في دمشق الشام يعرفون بعائلة الحافظ ومنهم الشيخ عبد الحفيظ الذي قام ببناء الجامع الكبير (1928-1930)

ويروى أبناء عائلة حميد أن أصل عائلة الدعليس من شمال إفريقيا (المغرب العربي) وبالتحديد من الجزائر. استقروا أولا في بيت جبرين قضاء الخليل ثم انتقلوا إلى اسدود واستقروا بها

1. آل عطوان ومنهم نبهان، إبراهيم، يوسف، عطوان، أحمد، اسماعيل، سلمان
2. أبو شمله ومنهم سلمان وعبد الحميد
3. طقش ومنهم عبد الرحمن، سليمان علي ، محمد ، إبراهيم وعبد الكريم
4. جبر وكساب وعزيزة ومنهم محمود جبر وخالد كساب
5. الحاج يونس، عباس، عطايا حماد، الغليظي، اشنينو، طافش، قطايف

وهناك عدد آخر من العائلات تنتمي إلى حمولة الدعالسة وهم:

أبو محيسن، السلوت، أبو شحتوت، العروقي، اسليم، أبو عرف، أبو صبحة، أبو أسنان، أبو لوز، غنام، كتوع، الصعيدي، أبو ربيع، أبو قورة، أبو شييكه، الصباغ، البقري، المزين، الزن، أبو علي.

**ثالثا: آل زقوت (الزكاكتة)**

اكتسبت هذه الحمولة اسمها من العائلة الرئيسة بها وهي زقوت. ويروي بعض رجالها المعمرين أن أصل العائلة من قرية مردا (مردى) قضاء نابلس، وفي رواية أخرى أن العائلة نزحت من يعبد قضاء جنين. وهناك فرع من عائلة زقوت بالمجدل ، وقامت بين العائلتين مصاهرة وتبادل زيارات. فمثلاً ، ابنة الحاج عبد الرحمن محمود زقوت ، مختار الحموله في اسدود ، تزوجت من سليم زقوت مختار حارة زقوت بالمجدل.

**ومن أشهر عائلات هذه الحمولة:**

1. أولاد اسماعيل سالم ومنهم عبد الرحمن وأخوته محمد وعبد الهادي
2. أولاد بركات (دار حسنه) عبد العزيز عبد الهادي وابنه يوسف
3. محمد صالح وابنه الحاج ربيع
4. أولاد نصار ومنهم محمد عبد الحي، عوض نصار، أبو جواد، عبد النبي
5. أولاد طه ومنهم اخميّس، ومحمود، ومطلق
6. تمراز (التمارزه) هم من الحمولة، ولكنهم ليسوا من أبناء زقوت يروي بعض أفرادها أنهم من مصر. كبير العائلة الحاج حسن محمد تمراز المشهور باسم حسن أبو حمده. ومنهم: أولاد داود، أحمد خليل، الحاج عبد الرحيم (متروك) وعبد الله فنون

ومن العائلات التي تنتمي إلى هذه الحمولة:

أبو شوقه، القن، عبد الواحد، الشويخ، البقري، الصوري، العطار، الدوخي، عقل، جاد الله، المزين، طومان، أبو حشيش، ذياب، أبو الريش، أبو العوف، أبو اسلوم، الناطور، جاد الله.

**رابعا: حمولة المناعمه:**

هذا الاسم غالبا نسبة إلى عبد المنعم جد إحدى العائلات الهامة من هذه الحمولة. ولكن بعض أفرادها يرى أن المناعمة تعود في أصولها إلى الإشراف في الحجاز. وربما تشابه الأسماء هو الذي شجع على هذا الاعتقاد. فالحمولة بها عائلات عديدة ليس بينها صلات قرابة مطلقا. والعائلات الرئيسة: "قفة"، الحساسنة، نوفل وجميعها لا تدّعي ذلك النسب.

**وأهم العائلات التي تتألف منها هذه الحمولة هي:**

1. قفة ويروي المختار عبد الفتاح قفة (أبو وجيه) أن أصل هذه العائلة من قرية بربرة انتقل جدهم "علي" إلى اسدود واستقر بها. من أهم أعيان العائلة العبد يوسف، وكان مشهودا له برجاحة العقل.
2. أبناء عيسى ومنهم: الحساسنة، عبد اللطيف، عبد المنعم. وإبراهيم علي وهو من أكبر الملاكين في اسدود
3. غبن ومنهم الشيخ موسى وحسن علي
4. البطراوي ومنهم محمد، خالد، إبراهيم، العبد ربيع. ويرى محمد خالد البطراوي، وهو أحد أفرادها المثقفين، أن اصل العائلة مصري ولكن معظم أهل اسدود لا يعتبرونهم كذلك.
5. صافي وسلامه ونوفل (يعتبرون أنفسهم عائلة واحدة)

وهناك عدد كبير من العائلات تنتمي لهذه الحمولة وهي:

أبو زينة وكبيرها الحاج علي أبو زينة وابنه ذيب – ويعتبر الحاج علي من أكبر الملاكين في اسدود. وعوض الله وكبيرهم حسين عوض الله.

وسلطان، ونجم ومنها الشيخ محمود إمام الجامع الكبير. والحمامي العرقوبي ومنها الشيخ عبد الحليم، أبو حبيب، أبو غزة، العايدي، أبو حرب، السباخي ومنهم حسن وعبد الفتاح، عويضة، عبد العال، الباز، غراب، صنع الله، أبو شلباية، أبو صدغ، عطايا، فياض، عطوة، الحلو، مخيمر الحنفي. الناطور، الشيخ محيي.

المختار

إن منصب أو وظيفة المختار تعود إلى النصف الثاني من القرن التاسع عشر، حين صدر قانون الولايات العثماني عام 1864م. لكنه لم يطبق على أرض الواقع إلا في الربع الأخير من ذلك القرن. نص القانون على أن كل "صنف" في قرية ينتخبون لهم مختاراً، ولم يحدد القانون تعريفا محددا لكلمة "صنف" وبعد مداولات وتفسيرات استقر الرأي على أن كل عائلة أو حمولة أو طائفة دينية لها مختار. واستمر الحال هكذا حتى خلال عهد الانتداب.

وفي عام 1871 صدر قانون آخر متضمنا بعض التعديلات لقانون 1864، ولكن ظل تطبيقه بطيئا في القرن التاسع عشر، لأن الهدف من هذا القانون كان الحد من سلطة شيخ البلد، واستبداله بالمختار، بصلاحيات محددة. ومع بداية القرن العشرين أخذ تطبيق القانون يأخذ مجراه، وخاصة في عهد "تركيا الفتاة" بعد عام 1908.

أكدت القوانين الملحقة بالقانون الأساسي على تعيين مختار قرية، وإذا كانت هناك جماعات (عائلات) مختلفة في القرية الواحدة، فكل جماعة لها الحق في مختار خاص بها.

هذا القانون ظل ساريا بعد الحرب العالمية الأولى وخلال عهد الانتداب حتى عام 1934، حين صدر قانون تنظيم البلديات في المدن.

ومع ذلك استمر تعيين المخاتير حسب القانون العثماني حتى عام 1940م، حين شكل المندوب السامي لجنة خاصة لدراسة مهام وظيفة المختار، وقدمت عدة توصيات منها: أن القرى الصغيرة التي يكون سكانها أقل من ألف (1000) نسمة لها حق في مختار واحد، وإن كان السكان ما بين (1000-5000) يحق لها أكثر من مختارين، والتي يزيد سكانها عن (5000) لها الحق في أربعة أو أكثر.

وأخيرا صدر القانون عام 1944م ولكنه لم يتضمن تغييرات جذرية بل أبقى الأمور على سابق عهدها، مع إضافة بسيطة، وهي تعيين مساعد مختار، حسب حجم القرية، أو لاعتبارات أخرى. وفعلا جرت في اسدود انتخابات في ساحة مدرسة البنين لاختيار عضوين من كل حمولة لمساعدة المختار حسب القانون الجديد.

إن منصب المختار استحدث من الناحية الرسمية قيام ظاهرة جديدة في القرية وهي الانتخابات. وبناء على نص القانون ينتخب المختار لمدة سنة واحدة قابلة للتجديد دون تحديد لعدد الدورات. والذين يحق لهم التصويت هم الذكور لمن يزيد أعمارهم عن 18عاما، على أن يكون من دافعي الضرائب لأكثر من 50 قرشا سنويا. وما على الحكومة إلا التصديق على نتائج الانتخابات. لكن الواقع لم يكن كذلك، فنادرا ما تم انتخاب المختار بهذا الأسلوب الديمقراطي. ففي العادة لم تشارك أعداد كبيرة في الانتخاب، وربما اقتصر ذلك على رؤساء العائلات في الحمولة. ويبدو أن انتخاب المختار في الواقع كان يتم بترشيح من الإدارة المحلية بعد التشاور مع الأعيان والأخذ في الاعتبار رغبات الأغلبية، ولكن مع تفضيل مصالح الحكومة أولا، عملا بمبدأ السلطة المباشرة.

وفي عام 1942 أصدر المندوب السامي البريطاني قانونا يخول حاكم اللواء حق تعيين المختار وعزله. وفي الحقيقة كان قائم مقام القضاء هو الذي بيده سلطة تعيين المختار وعزله بعد أخذ رغبات الناس في الاعتبار، ولكن هذا الشرط كان شكليا. هذا الأسلوب أصبح قانونيا بعد صدور التنظيم الرسمي في شكل قانون 1944، الذي لم ينص على الانتخاب مطلقا.

كان من الأهداف الرئيسية لاستحداث وظيفة المختار المحافظة على النظام والأمن في القرية. فكان عليه أن يخبر السلطات المحلية للحكومة عن أية نزاعات أو حوادث قتل أو سرقات في القرية وأن يقوم بتسليم مرتكبي الجرائم إلى أيدي السلطات المختصة، واستمرت هذه المهام في عهد الانتداب ايضا.

وكانت قوانين البوليس (الشرطة) كذلك تنص على ضرورة التنسيق مع المختار في دورياتهم، وتحقيقاتهم في أحداث القرية. وكان عليه أن يخبر السلطات بسرعة عن أية نية أو تخطيط للقيام بأي مخالفة للقانون من قبل أشخاص في القرية لتفادي وقوع الجريمة، وأن يخبر الحكومة عما يحدث في القرية من نزاعات أو مشاكل يمكن أن يكون لها أبعاد خطيرة، أو عن وجود أشخاص غرباء يتجولون في القرية مشكوك في أسباب تواجدهم. وباختصار كان المختار عين الحكومة الساهرة في القرية أو كما يصفه البعض أنه كان يمثل رجل المباحث أو المخبر لسلطات الحكومة. كان ذلك يعتمد على شخصية المختار وضميره ومدى التزامه بمصلحة حمولته وقريته أولا وقبل كل شئ. وكان هناك بعض المخاتير ذوي النفوس الضعيفة يفضلون مصالحهم الشخصية على مصالح أفراد حمولته طمعا في احتفاظه بوظيفته ونفوذه.

وبالرغم من ذلك لم يتمتع المختار بنفس الصلاحيات والسلطات التي كانت من اختصاص "شيخ القرية" سواء في المحافظة على الأمن ومعاقبة المجرمين أو جمع الضرائب. كان هدف الدولة حين استحدثت هذا المنصب هو الحد من سلطة الشيخ وخاصة في جمع الضرائب. فأصبح هناك موظفون لتحصيل الضرائب في القرى بمساعدة المختار، دون أن يقوم نفسه بتحصيلها.

كانت الضرائب تقدر بشكل جماعي في الحمولة أو القرية من قبل مجلس شيوخ أعيان القرية (الاختيارية) ولا يتفرد المختار بتحديدها. وأخيرا في عام 1922 ألغي نظام الضرائب الجماعي وحل محله نظام الضريبة الفردية، أي أن كل فلاح يدفع ضريبته بنفسه حسب دخله وأملاكه.

وأن المختار عليه أن يقدم التسهيلات اللازمة لموظف الحكومة المكلف بجمع الضرائب من الفلاحين. وكان المختار مسئولا عن تعريف أهل القرية بالقوانين والتعليمات الحكومية الجديدة، وإصدار الأوراق والشهادات الثبوتية الخاصة والعامة للفلاحين والمصادقة عليها بختمه الذي زودته به الحكومة. ومع مرور الزمن منذ إنشاء وظيفة المختار، تقلص نفوذه، وفقد كثيرا من الصلاحيات والفرص التي كانت تسمح له بمنافع شخصية، وزيادة أملاكه وثروته على حساب الفلاح في القرية.

ويجب التنويه هنا بأن المختار كان يقوم بتسوية المنازعات المحلية البسيطة بين أفراد حمولته، وبالاشتراك مع المخاتير الآخرين وأعيان القرية في إجراء المصالحات العائلية الهامة والمعقدة أحيانا، كمشاكل القتل والثأر، على قواعد العرف والعادات والتقاليد. وكانت الحكومة تدعم وتشجع مثل هذه المصالحات تجنبا لآثار جانبية غير مأمونة العواقب، وتوفيرا لمجهودات الدولة ومصروفاتها، وكثيرا ما كان بعض المخاتير والأعيان المشهود لهم برجاحة العقل، وسعة الصدر، والسمعة الطيبة، يشاركون في تسوية قضايا دم وغيرها في القرى المجاورة بل وفي قرى القضاء بشكل عام.

وهذه قائمة بالأشخاص الذين تقلدوا وظيفة المختار في الحمائل الأربع حسب التسلسل الزمني حتى النكبة ، عام 1948.

**أولا: مخاتير الجودة:**

1. شحادة إبراهيم جودة
2. عبد الجواد محمد البيومي
3. عبد المعطي إبراهيم جودة
4. عطية عبد الجواد البيومي
5. حسين صالح جودة
6. محمد عبد الهادي النجار
7. حسين صالح جودة
8. الشيخ حسن محمد البيومي
9. حسين صالح جودة (ابتداء من عام 1948 كان ابنه أحمد ينوب عنه أحيانا)

**ثانيا: مخاتير الدعالسة:**

1. عبد الرحيم الدعليس
2. عبد الحميد حميد الدعليس
3. محمد عبد الحميد حميد
4. عبد الهادي عبد الحميد حميد
5. شحادة عبد الهادي حميد (كان نائبا عن والده ثم أصبح المختار بعد وفاته عام 1948م)

**ثالثا: مخاتير آل زقوت (الزكاكتة):**

1. اسماعيل أحمد سالم زقوت
2. عبد العزيز عبد الهادي بركات (حسنة)
3. عبد الرحمن محمود زقوت
4. محمد عبد الرحمن زقوت

**رابعا: مخاتير المناعمة:**

1. يوسف قفة عبد الرحمن يوسف قفة
2. علي حسن أبو زينة
3. عبد الفتاح عبد الرحمن فقة

ويتضح من هذه القوائم، أن منصب المختار في اسدود في جميع الحمائل، تركز في أيدي عائلات محدودة، وأحيانا انحصر في عائلة واحدة، يتوارثه الأبناء من الآباء، وأحيانا يتولاه الأخ بعد أخيه. ومما ساعد على هذه الظاهرة شبه الوراثية، أن الدولتين العثمانية والبريطانية كانتا تحرصان على المحافظة على الوضع الراهن واستمراريته كعامل يساعد على الاستقرار سواء في القرية أو البلاد بشكل عام. ومن ناحية أخرى فيه تشجيع للمختار على الإخلاص والتعاون مع السلطات ضمانا وحفاظا على مصالحه الشخصية ومصالح أولاده من بعده، حتى لو كان ذلك على حساب المصلحة العامة لحمولته.

كل مختار في بيته "مقعد" وهو مجلس يجتمع فيه الرجال من أبناء الحمولة. يدعى في بعض القرى "منزول" أو "ديوان" أو "مضافة".

وعلاوة على هذا المعقد الرئيسي، توجد مقاعد عديدة في بيوت وجهاء القرية وأعيانها.

كما تجب الإشارة إلى أنه إذا كان المختار شابا فيلجأ إلى والده أو أعمامه أو وجهاء الحمولة للمشورة خاصة في الأمور التي تتطلب ذلك. وهذا الأسلوب يتبعه المختار العاقل الحكيم ليحظى بمحبة الناس وتكاتفهم معه. أما المختار المتصلب في رأيه والمعتد بشخصه يفقد احترام الناس وتعاطفهم ومحبتهم ودعمهم له.

المجلس المحلي

كما ذكرنا سابقا، حافظت حكومة الانتداب، بقدر ما تستطيع، على الأوضاع الراهنة في إدارة المدن والقرى بفلسطين.. ففي القرى أبقت نظام المختار حسب القواعد التي سادت في العهد العثماني، وفي نفس الوقت حاولت إدخال بعض التعديلات على هذا النظام. ففي عام 1921 أصدرت قانون المجالس المحلية للحد من احتكار المختار للسلطة المحلية كما كان الحال في العهد العثماني. وخولت هذه المجالس المحلية بعض السلطات في القرية، ولكن الحكومة لم تراع التقاليد السائدة حول حكم القرية من قبل أعيانها وشيوخها، إذ جاءت هذه المجالس تحمل طابع نظام جديد لم يعهد من قبل، وأصبحت هذه المجالس أداة في أيدي ممثلي الحكومة في اللواء. وغدت سلطة القائمقام هي الأعلى في تصريف الشؤون المالية بوجه خاص.

وبناء على ذلك تشكل مجلس محلي في اسدود في منتصف العشرينات ، وأتخذ مقرا له في مبنى بابور الطحين في الجنوب الغربي من البلدة. كان رئيس المجلس عبد الرحمن محمود زقوت (مختار الزكاكتة) وسكرتيره سلمان أبو شمله، والأعضاء هم: حسين صالح جودة وشاكر عطية البيومي من الجودة، عبد الهادي حميد (مختار الدعالسة) وعبد العزيز عبد الهادي من الزكاكته، وعلي أبو زينه، وإبراهيم علي حسن من المناعمة. كما تعين عبد الرحمن عبد القادر زقوت لتحصيل رسوم المجلس المحلي.

لم يعش هذا المجلس طويلا، وربما لظروف محلية كمشاحنات بين الأعضاء أو امتعاض من الأهالي الذين أثقلتهم ضرائب الحكومة، ثم أضيفت إليها رسوم المجلس المحلي. وعلى العموم لم تجد هذه المجالس قبولا من القرويين بوجه عام. فلم يجدوا فيها ما يعود عليهم بالنفع الملموس ولم يكن فيها ما يشجعهم على المحافظة عليه. وفعلا تعطل العمل في أغلبية هذه المجالس في أنحاء فلسطين ومنها مجلس محلي اسدود. وليس من المستبعد أن تكون العوامل التي ذكرت أعلاه وخاصة تعارض وتصادم مصالح المخاتير مع سلطة المجلس المحلي الذي كان من أهداف تأسيسه الحد من نفوذ المختار. وعلاوة على ذلك كانت التجربة جديدة على أهل اسدود الذين كانوا شديدي المحافظة على التقاليد القديمة خوفا من كل جديد تخشى عواقبه. وربما كان هذا الموقف نفسه هو الذي جعل وجهاء القرية ومخاتيرها يرفضون بل ويقاومون بشدة إنشاء مدرسة للبنات في اسدود في أوائل الثلاثينات.

وتفيد وثائق المجلس المحلي المتوفرة أنه كان موجودا في الفترة (1927-1930) وربما كانت بدايته قبل ذلك بقليل ولكن في الغالب كانت نهايته في أوائل الثلاثينيات.

المقعد

كانت نسبة الفلاحين (القرويين) في فلسطين تزيد عن 65% من سكانها العرب، موزعين بين ما لا يقل عن 900قرية قبل النكبة. وأهم ما يميز حياتهم البساطة، والعمل الجاد، والتكافل والتضامن فيما بينهم – خاصة في الملمات. كانت أغلبية سكان القرى تعيش حياة شبه عشائرية، تسود بينهم التقاليد والأعراف، والعادات. ولذلك كانت الحمولة أهم وحدة اجتماعية (بعد الأسرة) في حياة القرية. وكان أفرادها يحرصون كل الحرص على سمعنها وإعلاء شأنها في سلوكهم الفردي والجماعي، سواء في داخل القرية أو خارجها. ومن هنا ظهرت أهمية "المقعد" في الحمولة بشكل خاص وفي القرية بشكل عام.

والمقعد عادة يكون في بيت المختار أو احد أعيان الحمولة. وفي بعض الحالات يكون في مبنى مستقل قريب من منزل المختار أو شيخ العائلة، وفي هذه الحالة يكلف شخص بفتحه وتجهيز النار والقهوة وقفله في المساء وتنظيفه. وهو عبارة عن مجلس مستطيل الشكل بحيث يتسع لحوالي 25-40 شخصا جلوسا على الأرض ويعتمد ذلك على حجم الحمولة أو العائلة، ففي بعض الحالات يكون في الحمولة الواحدة أكثر من مقعد.

وهو مقر اجتماعات أبناء الحمولة لبحث أمور حياتهم على اختلاف أنواعها اجتماعية كانت أو زراعية. يجتمع فيه الرجال غالبا في المساء بعد عودتهم من أعمالهم، أما كبار السن الذين لا يعملون فيجتمعون أيضا في الصباح يشربون الشاي مع بعض الأكل البسيط ثم يتناولون القهوة بعد ذلك.

كان المقعد أو الديوان بمثابة مؤسسة اجتماعية وثقافية يتناقش فيه الرجال حول قضايا الزراعة من حرث وحصاد ودراس، وزواج وتعليم وسياسة. وفي أوقات الفراغ كان المقعد هو مكان التسلية خاصة في ليالي الشتاء الطويلة، فيلعبون الورق، والصينية إما عن خسارة أو عزارة. وكان يتجول بعض الشعراء الشعبيين بين القرى ويترددون على المقاعد وينشدون على الربابة أو يقرأون سيرة بني هلال أو قصة عنترة بن شداد أو الزير سالم وغيرها.

وعادة ما ينقسم المستمعون إلى فريقين كل واحد يؤيد أحد الأبطال المتحاربين، والشاعر الذكي يتوقف عند نقطة حاسمة ليجعلهم ينتظرون الليلة القادمة بتشوق شديد.

وكان المقعد أيضا هو المحكمة حيث يتم إجراء الصلح بين الأطراف المتخاصمة، وأحيانا تبحث فيه قضايا كبيرة وخطيرة يشترك في الفصل فيها مخاتير وأعيان من حمائل أخرى سواء من القرية نفسها، أو من خارجها. وفيه يجتمع الناس للعزاء ومواساة أهل الفقيد مدة ثلاثة أيام. كما تتم فيه إتمام مراسم الزواج الرسمية مثل عقد القران والوليمة الكبرى إذا كان بيت العريس لا يتسع لها.

وفي رمضان تقليد اجتماعي وديني مشهور هو "الإفطار الجماعي" في المقعد. إذ يحضر رب الأسرة طبقا أو اثنين من الطعام حسب مقدرته مع عدة أرغفة من خبز الطابون، وهكذا يشتركون في تذوق أطعمة مختلفة، كما أنهم يساعدون على توفير الطعام للمسافرين الذين يدركهم غروب الشمس في قرية ما. وبهذا كان المقعد بمثابة فندق ومطعم للمسافرين وأصحاب الحاجة. وكذلك يتبادل فيه أبناء الحمولة الواحدة، أو أبناء الحمائل المختلفة، التهاني في الأعياد والمناسبات السعيدة كالزواج أو عودة الحجاج، أو عودة مسافر من مكان بعيد بعد غياب طويل.

ويفتخر أبناء الحمولة بمقعدهم، لذلك يهتمون به شكلا وموضوعا، فيحرصون على إكرام ضيوفهم واحترامهم لأنه يعتبر عنوان عزتهم وانتشار سمعتهم الطيبة في القرية وخارجها.

كانت المقاعد الرئيسة في اسدود في بيوت المخاتير وأعيانها.

**ومن أهم هذه المقاعد ما يلي:**

1. مقعد أحمد إبراهيم جودة (بعد وفاته تولاه ابنه سعيد)
2. مقعد حسين صالح جودة
3. مقعد عطية الشيخ (بعد وفاته تولاه ابنه شاكر)
4. مقعد عبد الرحمن يوسف قفة (بعد وفاته تولاه ابنه عبد الفتاح)
5. علي حسن أبو زينة
6. محمد عبد الحميد حميد
7. عبد الهادي عبد الحميد حميد
8. سلمان أبو شمله
9. عبد الرحمن محمود زقوت
10. عبد العزيز عبد الهادي (بعد وفاته تولاه ابنه يوسف)
11. حسن محمد تمراز (أبو حمدة)

وفي الأربعينات من القرن العشرين، كانت هناك عشرات المقاعد الفرعية في القرية. كثير من العائلات في كل حمولة تفتح لها مقعدا في بيت أحد وجهائها. ففي ربع الجودة مثلا فتحت المقاعد التالية: مقعد عبد الجواد درويش، مقعد محمد صالح هرون، مقعد عبد الحميد جودة، مقعد عبد الله محمد يوسف (القطة).

وفي ربع المناعمة كانت هناك مقاعد في بيت كل من: أحمد سلمان نوفل، وحسين عوض الله (النوري). وفي ربع الدعالسة وجدت مقاعد في بيت عبد الحميد أبو محيسن، وبيت محمود جبر، وبيت عمرو كساب وبيت عبد الحميد أبو سليمان. أما في ربع الزكاكتة فكان هناك مقعد أبو شوقه ومقعد الحاج ربيع محمد صالح ومقعد أحمد طه.

وأخيرا لا بد من الإشارة إلى أن الأشخاص الذين كانوا يترددون على مقعد معين كانوا يشاركون في مصروفاته. وفي العادة كان كل فرد يحضر معه في أول الشهر مثلا وقيّه قهوة أو حب الهان وهو (الهيل أو الهال): أو يدفع قروشا قليلة للمسئول عن المقعد.

أما إعداد القهوة فيقوم به صاحب المقعد أو أحد الرجال المدربين على ذلك وربما يشترك في إعدادها أكثر من شخص، فمثلا أحدهم يحمص حبوب القهوة في المحماسة، وأخر يشعل النار، وثالث يدق حبوب القهوة المحمصة في الهاون بيد خشبية ثقيلة. ثم يغلى الماء في بكرج كبير وتوضع فيه القهوة المطحونة، ثم تصفى في بكرج أصغر، ومن هذا الأخير تصب القهوة في الفناجين الصغيرة بكميات قليلة لا تزيد عن ثلاث رشفات وتتكرر إذا طلب الشخص ذلك وعادة تكون القهوة سادة. وقد كان الفلاح يجد فيها لذة لا يدانيها شئ.

ومن الأدوات الموجودة في المقعد: الكانون (المنقل)، الملقط ، البكرج، المحماصة (المحماسة بالعامية ، لتحميص القهوة) الصينية، الفناجين، الهون (الهاون)، والمدق (عصا لدق القهوة).